مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
X ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–204
المجلد: 35 العدد: 03 السنة: 2021 الصفحة: 730–747 تاريخ النشر: 20–12–2021

المشابهة التصويرية في القصيدة المعاصرة
قصيدة "أمر طبيعي" للشاعر تميم البرغوثي أنموذجا

The pictorial analogy in the contemporary poem the poem "A Natural Order" by Tamim Al-Barghouti as a model

الطالبة. ليلى أبركان
aberkane.leyla@univ-guelma.dz
المشرفة أ.د. فريدة زرقين
Faridaboumahra2008@gmail.com
جامعة 8 ماي 1945 قالمة

تاريخ الإرسال: 2021/05/26 تاريخ القبول: 2021/12/06

I. الملخص:

إن الحدث اللغوي في اللسانيات المعرفية ما هو إلا إسقاطات حدث ذهني قائم وفق تصورات حاصلة على مستوى الدماغ، وتتمثل تلك الاسقاطات الجسد، وهي تعكس مظاهر حدث خارجي لجزء لا يتجزأ من تجربتنا. والبحث في المفاهيم التصورية المشكلة لبنية القصيدة المعاصرة، هو بحث في التجربة الثورية على مناويل سابقة، بحيث تتشكل تلك المفاهيم انطلاقا من إسقاطات ذهنية مبنية على مستوى قاعدي أولي تتشارك فيه الجماعة الثقافية اللغوية، وبعدها يكون تحقق الإبداع اللغوي الذاتي من خلال بناءات المشابهة التصورية الاستعارية. فما طبيعة تلك الإسقاطات اللسانية التي قوامها بنية ذهنية معرفية؟

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
X ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–204
المجلد: 35 العدد: 03 السنة: 2021 الصفحة: 730–747 تاريخ النشر: 20–12–2021

الكلمات المفتاحية: اللسانيات المعرفية، المشابهة التصورية، الإسقاطات الذهنية، الاستعارة التصورية، المناويل المعرفية.

I. ABSTRACT:

The linguistic event in cognitive linguistics is nothing but projections of a mental event existing according to perceptions occurring at the level of the brain. These projections are the body, and they reflect the manifestations of an external event that are an integral part of our experience. The research on the conceptual concepts that form the structure of the contemporary poem is a study of the revolutionary experience on previous methods, so that these concepts are formed from mental projections based on an initial base level shared by the cultural-linguistic group, and after that the realization of self-linguistic creativity through constructions of metaphorical analogy. What is the nature of these linguistic projections that are based on a cognitive mental structure؟

Keywords: Cognitive linguistics, conceptual analogy, mental projections, conceptual metaphors, epistemological approaches

1. المقدمـــة:

كثر الحديث عن الجهود التي تحاول أن تكشف مكامن الوجود اللغوي الموصول بالوجود الإنساني وبكينونته، وقد توالت تلك الجهود متفردة أو مجتمعة في سعي لمعرفة ما يتضمّنه الفعل اللغوي، وما يضمنه باعتباره سمة مثلى في تفعيل التواصل على مستويات عدة.

وتختصر الجهود اللسانية المعرفية المعاصرة عملها في رد اللغة إلى المنظومة الذهنية، من حيث الفعل اللغوي حدثٌ قائم على أنساق تصورية تنبني في الذهن، وتتمثلُ الجسد

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
X ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–204
المجلد: 35 العدد: 03 السنة: 2021 الصفحة: 730–747 تاريخ النشر: 20–12–2021

في اتصال دائم مع العالم الخارجي، فيكون الأثرُ اللغويُ بصفة عامة، والإبداعي منه بصفة خاصة واقعا بآفاق متسعة، تدخل فيه اللغة في علاقة مع «أنظمة عرفانية أخرى، تفرض عليها أن تستجيب لشروطها، وإلا فالملكة اللغوية لا يمكن استعمالها»[1]. فالعلومُ المعرفية على اختلاف مشاربها وتوجهاتها الإنسانية منها والطبيعية، تشتغل كلها على العمليات الذهنية، وتبحث في طبيعتها، وكيفية انتظامها، فتتوافق تلك العلوم في هدف البحث وميدانه، وهو ما يفرض عليها التكامل في الكثير من الجوانب، وإن اختلفت توجهات البحث وآلياته. ولأن اللغة علم معرفي كذلك، فإن التصورات الذهنية في الدماغ تنبني في مستوى أعمق على مشابهات تتعالق بقواعد تمثل الجانب التداولي، فتكون علاقة المعنى حينئذ لا ترتبط بالخطاب اللغوي فحسب، وإنما بالخلفيات غير اللغوية كذلك[2]. فينبثق حدثان لغويان انطلاقا من نسبة التماهي بين الاسقاطات والتصورات؛ هما الاستعارة والتشبيه اللسانيَين؛ فإن كان التماهي بين الموضوعين كبيرا، فإن تلك التصورات تتمثل بناءً تصوريا استعاريا، وأما إن كان جزئيا فنحن بصدد التشبيه[3].

ولأن القصيدة المعاصرة تتشبع من مفاهيم تصورية تشترك فيها الجماعة وتتقاسمها، وهي في ذلك الاشتراك تتفاوض حول واقع تنقله تجربة ذاتية تعكس على نحو ثقافي

[1]– صابر الحباشة: اللغة والمعرفة رؤية جديدة، صفحات للدراسات والنشر، سورية، دمشق، ط1، 2008، ص 73.

[2]– راي جاكندوف: علم الدلالة والعرفانية، دار سيناترا، تونس، ط1، 2010، ص 71.

[3]– عبد الإله سليم: بنيات المشابهة في اللغة العربية، مقاربة معرفية، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2001، ص 120.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
X ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–204
المجلد: 35 العدد: 03 السنة: 2021 الصفحة: 730–747 تاريخ النشر: 20–12–2021

رؤيتنا للعالم، وطرق تفكيرنا[1]، وهو مجال مفهومي تتقاطع فيه الاستعارة مع القصيدة، وهذا يوحي بأن القصيدة استعارة كبرى، أو موسعة، أو هي فضاءات استعارية متتالية، منها ما يقيم تصورا عاما للفكرة و الموضوع مادامت "الاستعارة تنظم الفكر في جميع مظاهره"[2]، ومنها استعارات تبني مفهوما لغويا، وهي تختزل في كليهما روح الفكر والإبداع معًا.

من هنا حق التساؤل عن كيفية بناء التصورات الذهنية في القصيدة المعاصرة؟ وعن طبيعة الإسقاطات الناجمة عنها ؟

2. بنية المشابهة القائمة على الاستعارة:

حققت التجربة الشعرية المعاصرة تفرداً بعد تمرد على مناويل مسطرة، وأصبحت القصيدة وليدة مشاعر مركبة من خيال وفكر، و لم يُعد بالإمكان الحكم على القصيدة من طريق الذوق، بل لابد من إعمال الفكر للوقوف على أسرارها[3]، وعلى ما يدخل فيها من تصورات تحتل حيزا من الذهن، والتي تترجمها بينة شعرية استعارية. وقد غدت الاستعارة بدورها بعد أن عُدِّلت مسارات البحث فيها– وغابت مفاهيم استعارية تقليدية كانت تَعُدُها انحرافا عن الكلام العادي– «وسيطا بين الذهن البشري والثقافة،

[1]– إيلينا سمينو: الاستعارة في الخطاب، تر: عماد عبد اللطيف، خالد توفيق، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، ط1، 2013. (بتصرف)

[2]– عطية سليمان أحمد: الاستعارة القرآنية في ضوء النظرية العرفانية، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، مصر، ط1، 2014م، ص 97.

[3]– عبد العزيز موافي: الرؤية والعبارة (مدخل إلى فهم الشعر)، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، ط1، 2008، ص 444.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
X ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–204
المجلد: 35 العدد: 03 السنة: 2021 الصفحة: 730–747 تاريخ النشر: 20–12–2021

تسهم في نمو اللغة وتطورها»[1]، ولم يعد ذلك الوسيط داخلا في لغتنا فحسب، بل هو بنية مؤسسة في تفكيرنا، وفي النسق التصوري التابع له[2]. فالثورتان إذا فكريتان بطبيعتيهما، تشدهما انطلاقة واحدة، لثقافة واحدة، وجماعة واحدة، ثم ما تلبث أن تنفلت كل واحدة منهما إلى ترابطات، يغذّيها تارة المنطق الموضوعي، وتارة أخرى منطق ذاتي غير مسبوق، فتتحقق سمات الإبداع في العمل الفني.

فهل لمساعي الثورتين في قصيدة **''أمر طبيعي''** مقامٌ؟ وما هو دور الآليات المعرفية اللسانية في تمكين تلك المساعي ؟

1.2 إسقاطات المشابهة التصورية الاستعارية في ''أمر طبيعي'':

تتمثل التجربة في "**أمر طبيعي**" واقعا عربيا إسلاميا، وتتفاعل مع ذلك الواقع لتكشف أوجها من حقائق يتجاهلها مالك ومملوك في هذه الأمة، وفي وصفه لحالها، وقد تكاثرت آلامها، وتعطلت أحلامها، وتكالب الأعداء حولها، يختصر الشاعر الزمان والمكان، ويقتصد اللغة، وهو يؤرجح الرمز بين المعالم؛ فمن معلم تصوري ذهني تجريدي، تحيلنا اللغة إلى تصور مرئي عيني يتحقق معه القصد، وتتناسق الترابطات فيه لخلق عملية استعارية كبرى، فتتحول بواسطة ذلك الخلق الاستعاري [الأمة] بكل أحوالها إلى [ظبية] يُمثل [الغار] بدايةَ حياة جديدة بعد كل مطاردة.

ويبني التركيب الأول من القصيدة في قوله: "أَرَى أُمَةً فِي الغَارِ" فضاءً ذهنيا أولا وأساسا، والفضاء الذهني في عرف المعرفيين بنية معرفية تبنى فيها المجالات، وتنتظم بأنواع من الترابطات بين تلك المجالات، بحيث تقوم تلك البنية عبر جملة من المعلومات المنظمة

[1]– عبد الإله سليم: بنيات المشابهة في اللغة العربية، مقاربة معرفية، ص 8.

[2]– محمد الصالح البوعمراني، دراسات نظرية وتطبيقية في علم الدلالة العرفاني، دار نهى، صفاقس، تونس، ط1، 2009، ص 171.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
X ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–204
المجلد: 35 العدد: 03 السنة: 2021 الصفحة: 730–747 تاريخ النشر: 20–12–2021

والمتعلقة بالمعتقدات والأشياء، والتي تتواجد في جميع الأنشطة الرمزية، وإن كان أبرز ممثل لها هو النشاط اللغوي[1]. ويستهل الشاعر القصيدة، فيستدرج بوحدة [الرؤية] باعتبارها فعلا بناءً في الفضاء الأول فضاءً ثانويًا آخر، ليتحدد بالفضاءين معًا (زمان ومكان) فعل الرؤية، فالأمة ترتاد الغار في ذهاب وإياب، وتعتاده منفذا من كل الخطوب. كما يشكل الفضاءان في جانب آخر ازدواجية في التصور الاستعاري القائم على بنيتين تتمثل الأولى "مشهد الأمة في الغار"، بينما تمثل الثانية "التحقق العيني لذلك المشهد".

ولما كانت «الاستعارات التصورية في طبيعتها طريقة في التفكير، وكانت التعابير الاستعارية طريقة في الكلام»[2]، فقد استلزم أن يكون البحث في التصورات هو ما يبني الفكرة في القصيدة، وما يخدم دلالتها أيضا، حيث تمتد على طول النسق الخطابي العلاقة بين تلك التصورات في اتجاه تفاعلي.

وتعين الترسيمة التالية على إظهار ترابطات حاصلة على مستوى التصورات الذهنية الاستعارية

[1] – الأزهر الزناد: نظريات لسانية عرفنية، الدار العربية للعلوم ناشرون، د ط، د ت، ص 206.

[2] – محمد الصالح البوعمراني: دراسات نظرية وتطبيقية في علم الدلالة العرفاني، ص 126.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
X ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–204
المجلد: 35 العدد: 03 السنة: 2021 الصفحة: 730–747 تاريخ النشر: 20–12–2021

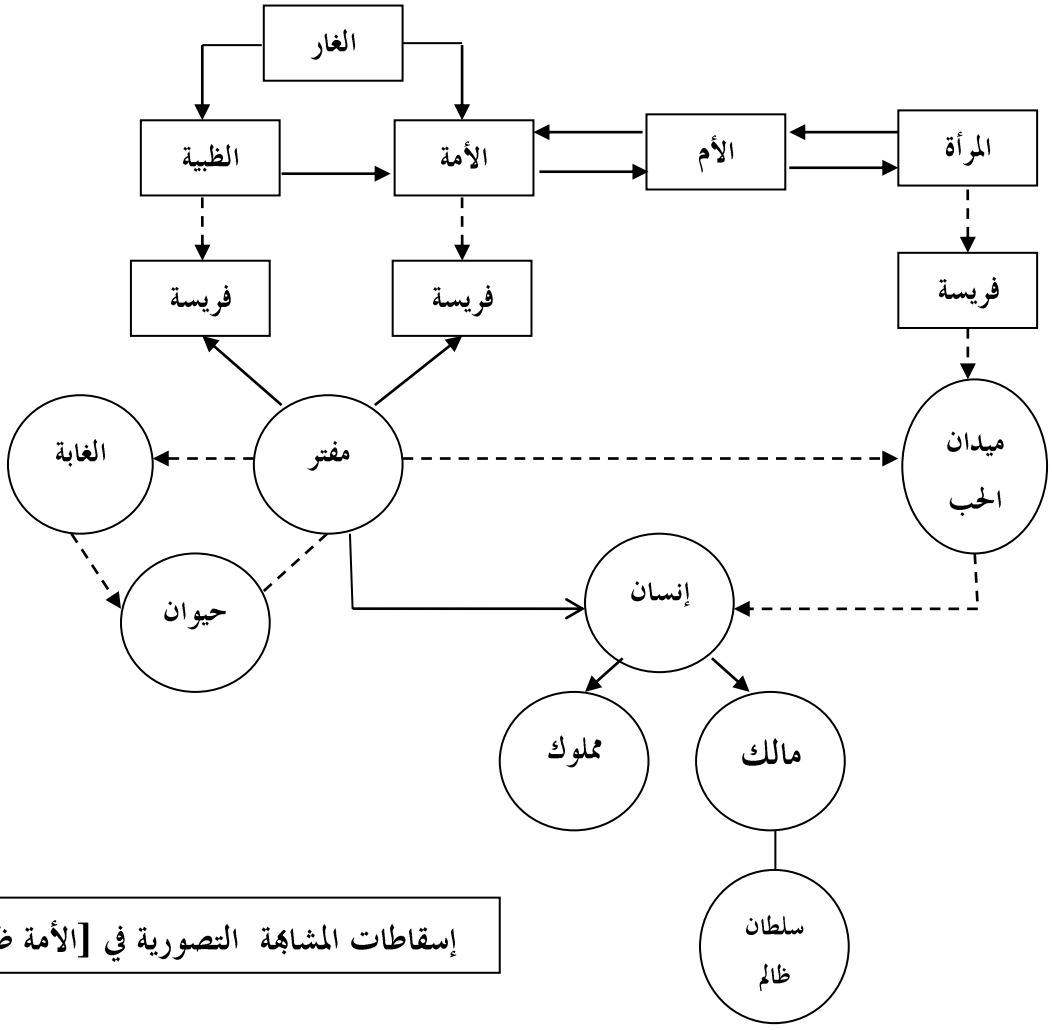

إسقاطات المشابهة التصورية في [الأمة ظبية]

تبين الإسقاطات بين المجالات التصورية في الترسيمة السابقة عن قيام معنى استعاري، وهو ما سيتم البحث فيه من طريق آليات معرفية منها:

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
X ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–204
المجلد: 35 العدد: 03 السنة: 2021 الصفحة: 730–747 تاريخ النشر: 20–12–2021

1.2.1. المنوال الثقافي وبناء المشابهة:

يعرف المنوال الثقافي بأنه رؤية في تصور العالم والتجربة، ضمني مسلم به، وهو مشترك بين أفراد مجموعة بشرية ما، يُوجه تَمثُل أفرادها لذلك العالم، وسلوكهم فيه»[1]، ويعرض هذا المنوال في "**أمر طبيعي**" بنية بناءة متداولة في الشعر العربي قائمة على استعارة قاعدية بين (المرأة) و(الظبية)، وتعقد الصلات بينهما انطلاقا من سمات يتداخل فيها المجالان؛ المجال الهدف، والمجال المصدر، وأهم تلك السمات سمة [الجمال]. ولكن أي مسوغات جامعة تتيح خلق مماثلات مفاهيمية في مستوى السياق اللغوي، أو في مستوى السياق الثقافي[2] بين مجال المصدر، ومجال الهدف في التصور الاستعاري [الأمة ظبية]؟.

إن المشابهة القائمة بين المجالين [الأمة] من حيث هي (مجال الهدف) و[الظبية] التي تمثل (مجال المصدر) انطلاقا من المنوال الاستعاري التقليدي السابق تخلق نوعا من الترابطات المطردة، وذلك نتيجة إسقاطات غير مباشرة تشكلت من خلالها شبكات معقدة شوشت على النسق المعرفي المتعارف عليه[3]، بحيث تمَّ التحول الاستعاري، من قاعدي تمثله [المرأة ظبية]، إلى إبداعي تَتَمثَّله [الأمة ظبية] عبر مستويات تأسست له بـــ "**وساطة مقالية**" هي الوحدة اللغوية [الأم]، وذلك من خلال قوله: "أَرَىٰ أُمَةً فِي الْغَارِ بَعْدَ مُحَمَدٍ "

[1]– الأزهر الزناد: نظريات لسانية عرفنية، ص164، وهو أحد المناويل المعرفية المستعملة لوصف الأبنية المفهومية، والتي تتضمن ما استقام أمره من الحقائق المتعلقة بالفكر والمقولات والمعاني، ينظر: م س، ص 149.

[2]– محمد مفتاح: مجهول البيان، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1990، ص68.

[3]– عبد الإله سليم: بنيات المشابهة في اللغة العربية، ص 110.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
X ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–204
المجلد: 35 العدد: 03 السنة: 2021 الصفحة: 730–747 تاريخ النشر: 20–12–2021

وقوله: "كَأُمِ غَزَالٍ فِيهِ جَمَّدَهَا الذُّعْرُ"
وقوله: "يَا أُمَّتِي يَا ظَبْيَةً فِي الْغَارِ"
وقوله: " يَا أُمَّنَا وَالْمَوْتُ أَبْلَهُ قَرْيَةٍ...."
وقوله: " وَلِأَنَّهُ يَا أُمُّ أَبْلَهُ...."

وتعتمد تلك الوساطة المقالية على إيضاح الفروق بين مجالين[1]، وإن كانت تعمد في جانب آخر إلى خلق تناسب تصوري ذهني يحقق في السياق انسجاما صوتيا للاقتضاء الدلالي ذاته. فالإسقاطات اللسانية في مستواها التركيبي اللغوي، تبين عن تمديد في التصور الذهني للاستعارة [الأمة ظبية]، إذ يخلق الشاعر لنفسه نوعا من التوسع يبيح فيه استبدال وحدات مجالي الهدف والمصدر بمرونة بين المقاطع الشعرية (فالأمة) (ظبية)، وهي (أم غزال)، و(الأمة) (أم)، وهي (أمنا).

ولأن (المرأة) ستصير (أما)، و(الأم) نواة (الأمة) وحامل بأبنائها، وأحزان (الأمة) وأفراحها يتشاركها أهلها، وهم في ذلك إخوة، وكلها مسوغات الإسقاط الاستعاري الإبداعي كما هو ممثل فيما يلي:

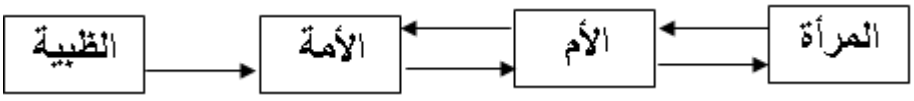

كما ترتبط المفاهيم السابقة، وتتعدى إبراز المعنى لتتحول بفعل اللغة من صور مجردة إلى صور مرئية تكتسب روحا، وتسري تلك الروح في الجسد الخطابي، فتمديد الاستعارة التقليدية، وإعادة تركيب جديد لبعض وحداتها، واستدعاء المنوال الثقافي لخلق استعاري جديد « يتمثل في مجموعة من الروابط الاستعارية أكثر ثراء وتعقيدا، وتوحي

[1] – محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط4، 2005، ص29.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
X ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–204
المجلد: 35 العدد: 03 السنة: 2021 الصفحة: 730–747 تاريخ النشر: 20–12–2021

بإشارات ودلالات أكثر من تلك التي تنبع من كل استعارة على حدة»[1]، فالأمة، وإن كانت فريسة ميدان كالظبية، لمفترس تتعدد صفاته وألقابه، وهي جريحة في الغار – مثلما يصفها الشاعر:

"إِنَّهَا عَرْجَاءُ أَدْرِي
إِنَّهَا عَوْجَاءُ أَدْرِي
إِنَّ فِيهَا كُلَّ أَوْجَاعِ الزَّمَانِ وَإِنَّهَا
مَطْرُودَةٌ مَجْلُودَةٌ مِنْ كُلِّ مَمْلُوكٍ وَمَالِكٍ"–

إلا أنّ الشاعر يطالبها بتصرف غريزي، كما هو فطري عند الظبية التي ستغادر الغار عند ذهاب المفترس، وزوال الخوف، وشفاء الجروح، وهو ما يعيبه الشاعر على أمته من استسلام ورضوخ، وركون لخوف عارض تفرضه طبيعة حال غير دائمة يقول:

"يَا أُمَّتِي أُدْرِكُ أَنَّ الْمَرءَ قَدْ يَخْشَى الْمَهَالِكْ
لَكِنْ أُذَكِّرُكُمْ فَقَطْ فَتَذَكَّرُوا
قَدْ كَانَ هَذَا كُلُّهُ مِنْ قَبْلُ واجْتَزْنَا بِهِ
لاَ شَيْءَ مِنْ هَذَا يُخِيفُ،
وَلاَ مُفَاجَأَةٌ هُنَالِكْ"

إن المفاهيم السابقة ما هي إلا اسقاطات لسانية لتصورات يتوحد استقرارها في الذهنيتين البناءة (الشاعر)، والمؤولة(المتلقي) على حد سواء، فيتأكد بذلك أنه لا ضرورة للتطابق بين الفضاء الذهني وحاله في الواقع، أو حتى بين خصائصه، وخصائص العنصر

[1]– إيلينا سيمينو: الاستعارة في الخطاب، ص 115.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
X ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–204
المجلد: 35 العدد: 03 السنة: 2021 الصفحة: 730–747 تاريخ النشر: 20–12–2021

الواقعي (الأمة/الظبية) فمن سمة الفضاء أن يكون متخيلا، فلا يخضع للتقييم العقلي[1]، ولكنه يرسم حدود منطق من نوع آخر يغذيه الانفعال والعاطفة.

وتمتزج أحوال الشاعر وهو ينقل تحسره على هذه الأمة، فمن مشاعر العتاب في قوله: "مَا حَتْمٌ عَلَيْنَا أَنْ نُحِبَّ ظَلَامَهُ"، وقوله: "وَلَكِنْ لاَ أَرَى فِي كُلِّ هَذَا أَيُّ عُذْرٍ لاعْتْزَالِكْ" إلى مشاعر الشفقة في قوله: "لاَ بَأْسَ يَا هَذِي عَلَيْكِ مِنَ الخُرُوجْ". ثم يستدعي الشاعر الماضي، وهو يذكر الأمة بأمجادها "وَلْتَذْكُرِي أَيَّامَ كُنْتِ طَلِيقَةً...". وفي سياق الذكرى، والتذكر يستدعي الشاعر منوالا معرفيا ثانيا هو المنوال الرمزي، ليؤكد للأمة أن الخوف أمر طبيعي، فوجب أن يكون زواله أمرا طبيعيا كذلك.

2.2.1. المنوال المعرفي الرمزي:

إن ذاتية الشعر التي يغذيها انفعال الشاعر في إطار لابد له أن لا يخرج عن طبيعة الحدث الخارجي[2] بحيث تجعل تلك الذاتية التي تتولد عند الشاعر من الفعل الاستعاري متجها نحو الداخل، ومصاحبا لحركات مجسدة بفعل لغوي، كما تولد لدى متلقيه حالات انفعالية، وردود أفعال على مستويات عدة.

وتتعلّق استعارة (الأمة ظبية) **بوساطة مقالية** أخرى متواجدة على المستوى النسقي نفسه، يعرضها **منوال رمزي** ممثل في الوحدة اللغوية [الغار]، والمنوال الرمزي من المناويل التي تتحدد بها بنية الذهن، بحيث تتوافق عناصر تلك المناويل مع المقولات فيه، ويختص المنوال الرمزي بأنه يحدد اللغة من خلال قرنه بين معلومات لغوية، والمناويل

[1]– الأزهر الزناد: نظريات لسانية عرفنية، ص206.

[2]– عبد السلام عشير: عندما نتواصل نغير، مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2006، ص 115.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
X ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–204
المجلد: 35 العدد: 03 السنة: 2021 الصفحة: 730–747 تاريخ النشر: 20–12–2021

المناسبة لها في النظام المفهومي[1]، وبه يقيم الشاعر مشابهة تصورية ذهنية بين تاريخين؛ هما ماضي وحاضر هذه الأمة، وقد قصد الشاعر هذا المنوال لسببين:

السبب الأول: به عقد الشاعر معادلة يفرض فيها على الأمة التسليم بالمنطق العقلي، فإذا كان الغار ملجأً ماديا يحفظ للأمة وللظبية شيئا معنويا هو حياة الروح، وإذا كان وجودهما في الغار غريزيا لضمان حياتهما داخله، فخروجهما منه لابد أن يكون فطريا لتلبية حاجيات أخرى فيها ضمان لحياتهما كذلك، فكان الغار بذلك منوالا رمزيا متحكما في البنية الاستعارية الكبرى (الأمة ظبية)، ومؤشرا متمما لتجربة عينية تعمل على إلغاء صورية وجمود الفكرة الذهنية؛ فصورة الظبية، وهي تركض خوفا من المفترس، وصورة لجوئها إلى الغار، هي وحدها القادرة على نقل حالة الرعب التي تعيشها الأمة الإسلامية مترامية الأطراف بحثا عن مستقر. وعليه فالتجربة التي تأتي بها الحواس، هي الأقدر على أن تستوطن في الذهن عبر شكل رمزي[2]، وبذلك الأخير تحتفظ الذاكرة، وبه كذلك تدلِّل وتحتجُّ، بعد أن يحقق المنوال الرمز مسارا تداوليا تواصليا ذهنيا أولا، قبل أن يكون لغويا في مرحلة ثانية.

ولكن الخوف الذي تعيشه الأمة داخل الغار، وقد طال زمنه غير مبرر، وقد تحول إلى هوس، تتخيل فيه الأمة الخوف، مما لا وجود له إلا في مخيلتها يقول الشاعر: "وَتَرَى ظِلاَلاً لِلْجُنُودِ عَلَى حِجَارَةِ بَابِهَا فَتَحِسبُهُمْ جنًّا وَتَصْرُخُ إِنَّهُ الْمَوْتُ الأَكِيدُ وَلَا فِرَارَ ..."، فلم يجد الشاعر جوابا إلا تذكيرها بماضيها المجيد في قوله: قَدْ كَانَ هَذَا كُلُّهُ مِنْ قَبْلُ واجْتَزْنَا بِهِ لاَ شَيْءَ مِنْ هَذَا يُخِيفُ، وَلاَ مُفَاجَأَةٌ هُنَالِكْ"، وقوله: "وَلْتَذْكُرِي أَيَّامَ

[1]– الأزهر الزناد: نظريات لسانية عرفنية، ص181.

[2]– سعيد بنكراد: سميائيات النص، مراتب المعنى، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 1439هـ/2018م، ص162.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
X ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–204
المجلد: 35 العدد: 03 السنة: 2021 الصفحة: 730–747 تاريخ النشر: 20–12–2021

كُنْتِ طَلِيقَةً..."، وهو السبب الثاني لاستدعاء المنوال الرمزي، فـــ (الغار) في الثقافة العربية الإسلامية رمز مقدس، وهو معبأ بالكثير من الدلالات، إنه الملجأ والخلوة والعزة والقوة... وغيرها، وكلها تتعلق بسيد هذه الأمة رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم، ومنه اكتسب الرمز قدسيته.

فقد كان (غار حراء) للرسول صلى الله عليه وسلم ملجأ يطلب فيه راحة نفسية، وهو يفكر في حقيقة العقيدة، ويرفض تمثلها في أصنام معلقة على الكعبة، فكان بذلك رمزا للخلوة والعزلة ثم تحول إلى رمز العزة والكرامة عند نزول الوحي والرسالة السماوية، فخرج منه الرسول صلى الله عليه وسلم خاتما للأنبياء والمرسلين بعد أن دخله خائفا حائرا، وبهذا يذكرها الشاعر فيقول " أَلَم تَخُرجِي مِنْهُ إِلَى المَلْكِ آنِفًا كَأَنَّكِ أَنْتِ الدَّهْرُ لَوْ أَنْصَفَ الدَّهْرُ"، وفي هذه الحقيقة التاريخية تتحوّل أقدار الأمة من ذلك الغار، وبها يحاول الشاعر استدراج الأمة للخروج منه.

كما كان (غار ثور) من قبل، ملجأً ومنجاةً لحياة الرسول صلى الله عليه وسلم وصاحبه، فمنه انطلقا إلى المدينة حيث تأسست الدولة، فكان بذلك رمزًا للقوة، والقيادة، والملك، وبه يستشهد الشاعر فيقول "تَهْدِي خُطَاكِ النَّجْمَ فِي عَلْيَائِهِ وَاللهُ يُعْرَفُ مِنْ خِلَالِكْ".

وعليه فعملية انتقاء المنوال الرمزي تكون على مستوى ذهني قبل تحققها اللغوي؛ لأن في الرمز (دالا) يعمل على إثبات الواقع، بينما يُفعّل(مدلوله) ذلك الواقع، أوقل إنه يطمح في تشكيل واقع جديد، بحيث تتم عملية إدماجه انطلاقا من وظيفته المعنوية الراسخة في الذهنية الجماعية، وذلك من خلال مقومات داخلة في تركيب الرمز نفسه. وتعود قصدية توظيفه إلى مشابهة تصورية عقدها الشاعر بين تاريخين تتشارك فيهما الأمة، وإن كان بين التاريخين بونا زمنيا شاسعا، حيث يمثل الماضي منهما عز الأمة، بينما

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
X ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–204
المجلد: 35 العدد: 03 السنة: 2021 الصفحة: 730–747 تاريخ النشر: 20–12–2021

يتمثل الحاضر نكبتها وانهيارها. ويظهر من ذلك أن الشاعر لم يستدع رمز المجد (الغار) فحسب، وإنما يستدعي المجد لإلحاق الزمنين ببعضهما، الحاضر بالماضي، ويتجلى ذلك في سعي منه لإخراج أمته من ذلك الغار.

3. المشابهة التصورية القائمة على التشبيه:

وتستمر التجربة الشعرية في "**أمر طبيعي**" بحثا عن روح جديدة في كل بنية لغوية، حيث تتخطى المعاني تارة، وتمزجها تارة أخرى، وهي في هذه، أو تلك، تحاول توسيع الصلات بإسقاطات لغوية تتواجد على النسقية ذاتها، فتسمح بالقبض على مظاهر تصور ما عن طريق تصور آخر[1]، وبها تستكمل التجربة الشعرية في "**أمر طبيعي**" طريقها.

ففي سياق محاولته لإخراج الأمة من حالة الخوف، وفي سياق ربط ماضيها بحاضرها، يواصل الشاعر تذكيرها بأن لها تاريخا لا يمثل عصرا من العصور، بل يمثل الدّهر كله، وفي ذلك يقول: " كَأَنَّكِ أَنْتِ الدَّهْرُ لَوْ أَنْصَفَ الدَّهْرُ". ويظهر التماهي بين الموضوعين – من خلال البنية الشعرية السابقة– جزئيا لحضور أداة التشبيه" كأن"، فالأمة ليست دهرا، ولكن بينهما مواضع تلاق، بحيث تُشكل تلك المواضع بنية تصورية ذهنية. فما هي طبيعة الإسقاطات اللسانية الناجمة عن تلك المشابهة التصورية؟

إن الشاعر يظل مشدودا في حالة دائمة إلى بنيات قاعدية تدخل في تركيب الذهنية الجماعية، وعلى أساسها يبتكر، ويبدع، محافظا على المبادئ التي تؤسس لتواصل الجماعة، بينما تنفرد الذات بالتجديد الناتج عن عمليات مزج، وبناء، وتمديد، وكل تلك العمليات محكومة «بإسقاطات موروثة تترافق ضمن سلمية أطلق عليها (**لايكوف**)

[1] – جورج لايكوف، مارك جونسون: الاستعارات التي نحيا بها، ترجمة عبد المجيد جحفة، دار طوبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2009، ص 29.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
X ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–204
المجلد: 35 العدد: 03 السنة: 2021 الصفحة: 730–747 تاريخ النشر: 20–12–2021

سلمية الإرث، وهذه السلمية ثلاثية المستويات، يرد في أعلاها الاستعارات ذات الانتشار الواسع من حيث العصور والميادين والثقافات، ويرد في أدناها أقلها انتشارا، ويرد في ما بينها استعارات بين بين»[1]. ويجعلنا مفهوم سلمية الإرث نقف على مستويات تندرج فيها التصورات الذهنية بحيث يحيل الأعم منها إلى العام، ويحيل العام فيها إلى الخاص، فيرث العام الأعم، والخاص العام.

وعليه يتشكل التصور الأول [كأن التاريخ دهر] في مستوى قاعدي أولي، يتضمن تناسبا عاما بين الموضوعين (التاريخ) و(الدهر)، بينما سيكون التناسب أقل مما سنجده بين موضوعات المستويين التاليين؛ فالتاريخ بمجاله الواسع الذي يضم الزمان والمكان، والعصور والأحداث، والحرب والسلم...وكل ما جرت أحداثه، وما تجري به في الحاضر، أو ما سيكون منها في المستقبل؛ لأنه غير محدد، وهو بتلك المقومات كلها، وبغيرها يتداخل مع مجال (الدهر)، من حيث الدهر زمن غير محدد أيضا، ينبني وفق المقومات التالية: [زمان]، [غير محدد]، [مجرد][2]، فتكون المشابهة حينئذ بين المجالين من دون أن يتماهى أحدهما في الآخر، بل تتحقق المشابهة التصورية من خلال التناسب القائم بين إسقاطات بعض المقومات الداخلة في تركيب المجالين.

وانطلاقا من ذلك التناسب، واستنادا إلى قاعدة الإرث، تتنزل المشابهة التصورية للربط بين مجالين في مستوى ثان، تتقلص فيه نسبة التماهي بين موضوعي المجالين، وبه يتشكل التصور الثاني [كأن الأمم دهر]، حيث يرث موضوع (الأمم) باعتباره وحدة مقومة لموضوع (التاريخ) بعض سماته التي تدخل في سلسلة مقوماتها من قبيل [زمن قيامها]، [عصورها]، [حكّامها]، [شعوبها]...وغيرها، وبعملية استبدالية لأحد أطراف

[1] – الأزهر الزناد: نظريات لسانية عرفنية، ص 149.

[2] – محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري، ص 177.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
X ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–204
المجلد: 35 العدد: 03 السنة: 2021 الصفحة: 730–747 تاريخ النشر: 20–12–2021

المشابهة [الأمم] بـــ [الأمة] والتي ترث هي الأخرى منها بعض السمات؛ لأنها جزء لا يتجزأ منها، وبذلك الإرث تتحقق المشابهة في مستواها الثالث والأخير [الأمة دهر]، والأمة هنا هي الأمة العربية الإسلامية بكل أحوالها التي عاينها الشاعر في "**أمر طبيعي**"، ونعانيها واقعا مرّا، ... فشتّان بين ماضي هذه الأمة، وبين حاضرها.

إن البحث في مقصدية هذه البنية التصورية يحيل إلى فكرة الترابط بين المجالات القائم على المشابهة وهي تطرح أملا يعقده الشاعر، وتؤكده العقيدة الإسلامية في قوله تعالى ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾[1]، فالشاعر يقسو على الأمة، ولكنه يريد منها أن تبحث عن مستقر لنفسها بعيدا عن ذلك الغار، وإن كان خوفها من احتمال الشيء، ونقيضه واردا[2].

غير أن التوارث الحاصل بين المستويات السابقة، والذي تحقق بفعله إسقاطات لغوية للمشابهة التصورية، ينبأ عن تعلق هذه الأخيرة باقتضاء يوجب تحقق البنية اللغوية التي تليها أولا، والقائمة عن إسقاط استعاري متضمن لفكرة الجسدنة. وذلك لأننا «ندرك العالم، ونفهم الأشياء من حولنا انطلاقا من حضورنا الجسدي في الزمان والمكان»[3]؛ ولأن «اللغة قائمة على مفاهيم بشرية، فهي بدورها مبررة بالتجربة البشرية»[4]، وهما مفهومان أساسيان في العرف المعرفي اللساني، فإن التصور الاستعاري إذا في قوله: "لَوْ أَنْصَفَ الدَّهْرُ" تمثلٌ لمفهوم تجريدي، ناجم عن إسقاطات بين مجال المصدر الممثل في الجسد من حيث قدرة الإنسان على تحقيق العدل، والمجال الهدف،

[1]– سورة الشرح، الآية: 06.
[2]– حمادي صمود: من تجليات الخطاب البلاغي، دار قرطاج، تونس، ط1، 1999، ص 118.
[3]– محمد صالح البوعمراني: دراسات نظرية وتطبيقية في علم الدلالة العرفاني، ص 9، 8.
[4]– الأزهر الزناد: نظريات لسانية عرفنية، ص 188.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
X ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–204
المجلد: 35 العدد: 03 السنة: 2021 الصفحة: 730–747 تاريخ النشر: 20–12–2021

والذي يحيل إليه الدهر بقدرته على استيعاب التاريخ. فإن كان الدهر يرث من التاريخ تلك القدرة، فبإمكانه كذلك أن يرث من التجربة الجسدية القدرة على الإنصاف، وهو ما يتمناه الشاعر؛ لأن من عادة التاريخ أن يكون مُلكا لمن يكتبه، ومن يكتبه لابد أن يكون الأقوى، وما أحوج الأمة في هذه الظروف إلى مثل تلك القوة لتغيِّر بها مسار واقع طال زمنه، وإن كان منته لامحالة، وزائل..؛ لأن كل ما في ذلك الواقع ليس إلاّ أمرا طبيعيا.

4. الخاتمـــة:

تبين التجربة الشعرية في "**أمر طبيعي**" عن أن لغة القصيدة المعاصرة مركب ذهني، مبني أولا وفق تصورات مجردة، لا تأخذ نفسا فعليا إلا بعد إسقاطات لسانية. حيث ينبني الخطاب المدروس على استعارة كبرى هي (الأمة ظبية)، ثم تنسل منها بنيات ووحدات لغوية على المستوى النسقي نفسه، غير أنها تبقى مشدودة إليها، فالمناويل المعرفية، والوسائط المقالية التي أهّلها الشاعر، تعمِّق دلالة الخطاب من جهة، وتؤكد أن الإبداع القائم على الاستعارة أو التشبيه، ما هو إلا تمثل لمشابهة تصورية حاصلة على مستوى الذهن.

5.قائمة المراجع:

(1) القرآن الكريم عن رواية ورش.
(2) الأزهر الزناد: نظريات لسانية عرفنية، الدار العربية للعلوم ناشرون، د ط، د ت، ص 206.
(3) إيلينا سمينو: الاستعارة في الخطاب، تر: عماد عبد اللطيف، خالد توفيق، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، ط1، 2013. (بتصرف)
(4) جورج لايكوف، مارك جونسون: الاستعارات التي نحيا بها، ترجمة عبد المجيد جحفة، دار طوبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2009، ص 29.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
X ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–204
المجلد: 35 العدد: 03 السنة: 2021 الصفحة: 730–747 تاريخ النشر: 20–12–2021

(5) حمادي صمود: من تجليات الخطاب البلاغي، دار قرطاج، تونس، ط1، 1999، ص 118.

(6) راي جاكندوف: علم الدلالة والعرفانية، دار سيناترا، تونس، ط1، 2010، ص 71.

(7) سعيد بنكراد: سميائيات النص، مراتب المعنى، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 1439هـ/2018م.

(8) صابر الحباشة: اللغة والمعرفة رؤية جديدة، صفحات للدراسات والنشر، سورية، دمشق، ط1، 2008، ص 73.

(9) عبد الإله سليم: بنيات المشابهة في اللغة العربية، مقاربة معرفية، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2001، ص 8.

(10) عبد السلام عشير: عندما نتواصل نغير، مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2006، ص 115.

(11) عبد العزيز موافي: الرؤية والعبارة (مدخل إلى فهم الشعر)، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، ط1، 2008، ص 444.

(12) عطية سليمان أحمد: الاستعارة القرآنية في ضوء النظرية العرفانية، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، مصر، ط1، 2014م، ص 97.

(13) محمد الصالح البوعمراني، دراسات نظرية وتطبيقية في علم الدلالة العرفاني، دار نهى، صفاقس، تونس، ط1، 2009، ص 171.

(14) محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط4، 2005، ص29.

(15) محمد مفتاح: مجهول البيان، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1990، ص68.